كبر العقل على صغر

لما دخل عبد الملك بن مروان البصرة رأى اياسًا بن معوية وهو فتى وخلفه اربعة من القرّاء اصحاب الطيالسة والعمائم فقال عبد الملك أما فيهم شيخ يتقدّمهم غير هذا الفتى. ثم التفت الى اياس وقال كم عمرك يا فتى . وكان عمرهُ سبع عشرة سنة فقال يا امير المؤمنين انا في عمر أسامة بن زيد حين ولّاهُ رسول الله جيشًا فيه ابو بكر وعُمَر فقال له مقدّم بارك الله فيك. وكان أياس قوي الحجة مفحم الجواب. قيل انهُ دخل دمشق وهو غلام فتحاكم مع شيخ عند قاضيها فصار يقيم الحجة على الشيخ. فقال القاضي انهُ شيخ كبير فاحفظ كلامك فقال اياس الحق اكبر منهُ . قال اسكت يا غلام قال ومَنْ ينطق بحجتي . قال اراك لا تقول الحق قال لا اله الاّ الله أحقٌّ هذا ام باطل . وقال الحافظ شمس الدين الذهبي في التاريخ الكبير ان اياسًا قاضي البصرة توفي في زمن بني أُميّة سنة مئة (هجرية) ولهُ تسع عشرة سنة . وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان يحيى بن اكم (كذا) وُلّي قضاء البصرة وسنهُ عشرون سنة او نحوها فاستصغروهُ وقالوا كم سن القاضي فقال انا اكبر من عتاب ابن اسيد الذي وجّههُ رسول الله قاضيًا على اهل اليمن وانا اكبر من كعب بن سوار الذي وجّههُ عمر بن الخطّاب قاضيًا على البصرة فجعل جوابهُ احتجاجًا

فهولاء القضاة بلغت فيهم القوى العقلية مبلغًا ساميًا على صغر سنهم فان اياسًا كان يُضرَب بهِ المثل في الزكن اي التفرّس واصابة الظن وولي قضاء البصرة ولهُ نوادر في اصالة الراي واصابتهِ ليست لغيرهِ من الشيوخ. كل ذلك وسنهُ دون تسع عشرة سنة. هذا وقد ذكرنا وجهٌ ٢٧٣ من السنة الثانية ما يُعدُّ من ابلغ الغرائب وهو خبر الصبي الفرنساوي ماراتيه الملقب بالعجيب . ومَن يحسن سوق ذكرهم هنا يلبز باسكال الذي تفرّد بين اهل فرنسا باصابة الظن وبلاغة القلم . قبل ان والدهُ لم يشأ ان يعلمهُ الهندسة وهو صبي امتلاً يتنع عن درس غيرها من العلوم فتوصّل من نفسهِ الى معرفة اوليائها ومبادئها . فمرَّ بهِ ابوهُ يومًا فرآهُ عاكفًا على البلاط وقد خطّ شكلاً هندسيًا بفحمة واخذ يبرهنهُ . فتفرّس ابوهُ في الشكل فاذا هو عين القضية الثانية والثلاثين من الكتاب الاوّل لاقليدس . ولم يكن احدٌ قد اخبرهُ شيئًا عن الهندسة . وقد الّف هذا الفيلسوف وهو ابن ست عشرة سنة رسالة في قطع المخروط ادهشت كبار العلماء

وفي التاسعة عشرة من عمرهِ اخترع آلتهُ الحسابية الشهيرة ولم يتم السادسة والعشرين حتى الّف معظم تآليفهِ الرياضية وهي عديدة وجرّب تجاربهُ الرائعة في السائلات والهواءيات فحاز بها المقام الاسنى بين الفلاسفة الطبيعيين

وهذا النمو الغريب يكون في الرجال والنساء . قيل ان امرأة جرمانية اسمها ماريا شد من نمت فيها القوى العاقلة حتى صار يضرب بها المثل في العقل والبراعة وهي بنت صغيرة . فانها لم تبلغ السنة السادسة حتى توصّلت من نفسها دون ان يعلمها احد الى تخريم الورق ادق التخريم وفي الثامنة تعلمت في بضعة ايام صناعة تصوير الزهر تصويرًا يدهش الناظرين وفي العاشرة تعلمت التطريز والنقطة في خمس ساعات . الّا انها لم تدرك المعارف السامية ادراكًا غريبًا حتى بلغت الثانية عشرة . وحينئذٍ كان اخوتها يدرسون في الغرفة التي تجلس فيها . فكانت اذا غلطوا ترد هم الى الصواب بمجرّد سمعها اياهم يتلون مثائلهم امامها . وقد حصّلت من العلوم والمعارف ما يكاد لا يصدّق فانها تعلمت العبرانية والسريانية والكلدانية والعربية والحبشية واليونانية واللاتينية والايطالية والفرنساوية والانكليزية والفلنكية السفلى والجرمانية وامتازت في العلوم الطبيعية والرياضية والعقلية والموسيقى والنحت والتصوير والسبك . وسبكت مثالًا لها من الشمع نقلاً عن صورتها في المرآة وهو من البدائع التي تشهد لها بالبراعة

ومثلها امرأة هنوفرية اسمها دوروثي شلوزر سمت حتى نالت اسمى القاب المدرسة الكلية في كتنكن ولُقّبت دكتورة في الفلسفة وهي بنت سبع عشرة سنة . وقبلما بلغت الثالثة تعلمت الجرمانية السفلى ولما بلغت السادسة تعلمت الجرمانية والفرنساوية ودرست عشر مثائل في الهندسة فقط فصارت تحل المسائل الهندسية العويصة . ثم درست لغات عديدة بسرعة عجيبة واتقنت درس اليونانية واللاتينية وسائر آدابها قبلما بلغت السنة الرابعة عشرة . ودرست سائر العلوم والفنون ولم يزد على اجتهادها اجتهاد احد من الناس فانها البست لباس الفضلة ونزلت الى اعمق المناجم في غاب هوز لتفوق غيرها في علم المعادن

غليليو غليلي

تابع ما قبله

فلما بلغ دوق طسكانا ما كان من علم غليليو واكتشافاته واختراعاته وبعد صيته وسعة شهرته اجازهُ بالف فيورنت وجعلهُ فيلسوفهُ ورياضيهُ الخاصّ وقطع له مالًا وافرًا فاغترّ غليليو باحسانه فترك مدرسة پادوى حيث كان آمنًا في ظل جمهورية فينسيا من كيد الحساد وغدر الاضداد ولحق به ليكون هدفًا لسهام اللائمين وعرضةً لاعتداء المبغضين

وشاعت تعاليمهُ في الآفاق ولهج الناسُ طرًّا بذكرها فساء ذلك اولي العلم في تلك الايام وانكروا تعاليمهُ مع تحققهم صدقها